

الرَّسَالَةُ ٣١٤

اذكر من أين سقطت.. وتب

(Arabic – Remember the height from which you have fallen! Repent)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: اذكر من أين سقطت. وتب

ومن سفر رُويًا يُوحنا اللاهوتيُّ الأصحاحَ الثانيَ نقرأ العددينَ الرابعَ والخامسَ:

"لكنْ عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْتَكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى. فَاذكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتَب. وَاعْمَلِ الْأَعْمَالَ الْأُولَى. وَإِلَّا فَاتِيَّ أَنْتِكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأَزْحَرُحُ مَنَارَتِكَ مِنْ مَكَانِهَا إِنْ لَمْ تَتَبْ".^١

إنْ كَنِيسَةُ أَفْسُسَ التي جَاءَ ذِكْرُهَا بِسِفْرِ رُويًا يُوحنا اللاهوتيُّ الأصحاحَ الثانيَ كَانَ لَهَا رَاعٍ يَرَعَاهَا. لَمْ يَمُ ذَلكَ الرَّاعِي بِرَعَايَةِ النَفُوسِ التي بِكَنِيسَتِهِ بِالطَّرِيقَةِ الْمَرَضِيَّةِ التي تَسْرُقُ قَلْبَ الرَّبِّ. إِنْ هَذِهِ النَفُوسُ كَلَفَتْ الرَّبَّ ثَمَنًا غَالِيًا. فَلَقَدْ اشْتَرَاهَا بِدَمِهِ الذي سَفَكَهُ فِدْيَةً عَلَى خَشَبَةِ الصَّليبِ. وَالرَّبُّ هُوَ الرَّاعِي الرَّعَاةَ يَقِيمُ عَلَى كَنِيسَتِهِ أَنَا سَا مَسْئُولِينَ أَمَامَهُ. وَوَأَجِبُهُمْ تَأْدِيَةً عَمَلِهِمْ بِأَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ وَبِغَيْرَةِ مَقْدَسَةٍ. وَأَنْ يَعْمَلُوا وَفَقَّ إِرْسَادَ رُوحِ اللَّهِ لَهُمْ.^٢

وَلَقَدْ ذَكَرَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تَلْمِيذِهِ تِيمُوثَاوَسَ بِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ التَّرَامَاتِ الرَّاعِي وَوَأَجِبَاتِهِ. وَقَدْ لَخَّصَهَا بِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ بِقَوْلِهِ عَنْهُ: "يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِلَا لَوْمٍ. بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ. صَاحِبًا عَاقِلًا مُحْتَشِمًا مُضِيْفًا لِلْغُرَبَاءِ. صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ. غَيْرَ مُذْمَنٍ الْخَمْرِ وَلَا ضَرَابٍ. وَلَا طَامِعٍ بِالرِّيحِ الْقَبِيحِ. بَلْ حَلِيمًا غَيْرَ مُخَاصِمٍ. وَلَا مُحِبِّ لِلْمَالِ. يُدَبِّرُ بَيْنَهُ حَسَنًا. لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِثْمًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْنَهُ فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟. غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لِئَلَّا يَتَصَلَفَ. فَيَسْقُطَ فِي دِينُونَةٍ إِبْلِيسَ. وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ. لِئَلَّا يَسْقُطَ فِي تَعْبِيرٍ وَفَحٍّ إِبْلِيسَ".^٣

وَحَدَرَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تَلْمِيذِهِ تِيمُوثَاوَسَ بِالْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ مِمَّا يَحْدُثُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ بِقَوْلِهِ: "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الْإِيمَانِ تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيْطَانِيَّةً". "إِنْ فَكَّرْتَ الْإِخْوَةَ بِهَذَا تَكُونُ خَادِمًا صَالِحًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُتَرْتِبًا بِكَلَامِ الْإِيمَانِ وَالتَّعْلِيمِ الْحَسَنِ الذي تَتَّبِعُهُ". ثُمَّ يَنْصَحُهُ بِالقَوْلِ: "لَا يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثِكَ. بَلْ كُنْ قَدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْمَحَبَّةِ فِي الرُّوحِ فِي الْإِيمَانِ فِي الطَّهَارَةِ". "اعكفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعظِ وَالتَّعْلِيمِ". ثُمَّ يَقُولُ: "لَا حِظَّ نَفْسِكَ وَالتَّعْلِيمِ وَدَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ. لِأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا تَخْلِصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا".^٤

وَكَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى تَيْطُسَ بِالْأَصْحَاحِ الثَّانِيِ يَقُولُ: "مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قَدْوَةً لِلْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَمُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً وَوَقَارًا وَإِخْلَاصًا وَكَلَامًا صَاحِبًا غَيْرَ مَلُومٍ لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيٌّ بِقَوْلِهِ عَنْكُمْ". وَلَكِنْ إِذَا انْحَرَفَ الْخَادِمُ عَنْ بَعْضِ التَّرَامَاتِ وَقَصَرَ فِيهَا. فَالرَّبُّ لَا يَسْكُنُ عَلَى ذَلِكَ. كَمَا أَنَّهُ لَا يَتَعَجَّلُ عَلَيْهِ بِتَنْحِيهِهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِهِ بَلْ يَنْصَحُهُ وَيُرْشِدُهُ. وَيُسِيرُ عَلَيْهِ بِالْأُمُورِ الْكَفِيلَةِ بِإِصْلَاحِ حَالِهِ حَتَّى يُعِيدَهُ إِلَى الْمَسَارِ السَّلِيمِ. لِيَكُونَ مَثْمِرًا لِمَجْدِ اللَّهِ وَامْتِدَادَ مَلَكُوتِهِ. بِخِلَاصِ النَفُوسِ وَرِعَايَتِهَا وَحِمَايَتِهَا مِنْ مُؤَثَّرَاتِ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ. وَبِالتَّأَمُّلِ فِيمَا قَالَهُ الرَّبُّ لِرَاعِي كَنِيسَةِ أَفْسُسَ وَالَّذِي وَرَدَ بِسِفْرِ رُويًا يُوحنا اللاهوتيُّ الأصحاحَ الثانيَ. نَلَاظُ أُمُورًا هَامَةً لِيَتَنَا نَضْعُهَا نَصَبَ أَعْيُنِنَا فَكَلْنَا رَاعٍ بِشَكْلِ مَا. مَوْضُوعِينَ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ. وَفِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَنَحْمَلُ خِدْمَةَ مُنَاسِبَةً لَنَكُونَ "قَدْوَةً فِي الْكَلَامِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْمَحَبَّةِ وَفِي الرُّوحِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّهَارَةِ".^٥

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر رُويًا يُوحنا اللاهوتيُّ ٢: ٤ - ٥ ،

^٢ سفر أعمال الرسل ١٤: ٢٣

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ٢ - ٧

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٤: ١ & ٦ & ١٢ - ١٦

^٥ رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٢: ٧ - ٨ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٤: ١٢

أولاً: مَسْأَلَةُ السَّقُوطِ فِي الْخَطِيئَةِ.. إنَّ سَقُوطَ الْمُؤْمِنِ فِي الْخَطِيئَةِ لَهُ خُطُورَتُهُ. لِأَنَّهُ يُفْقِدُهُ سَلَامَهُ مَعَ اللَّهِ. كَمَا أَنَّهُ يُعَذِّبُ ضَمِيرَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ. وَيُعْطَى إِبْلِيسَ مَجَالًا لِيَشْتَكِيَ عَلَيْهِ أَمَامَ اللَّهِ. وَيَصِيرُ الْمُؤْمِنُ فِي جَحِيمِ مُسْتَعِرٍ عَلَى الْأَرْضِ. إِذْ كَيْفَ يَكُونُ قُدُورَةً صَالِحَةً لِلْآخِرِينَ وَهُوَ مَغْلُوبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ؟. كَيْفَ يَتَكَلَّمُ عَنْ سَلَامِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ كَسِيرُ النَّفْسِ بَاتِسْ؟. كَيْفَ يَحْذَرُ الْآخِرِينَ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَهُوَ أَسِيرُهَا مُقَيَّدٌ بِسَلْسِلِيهَا؟. وَحَالَهُ لَا يُحْسَدُ عَلَيْهِ. لَنْ يَجِدَ فِيهِ الْآخِرِينَ إِلَّا إِنْسَانًا فَاشِيلاً مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ. لِأَنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ. وَلَنْ يُجِدِيَهُ نَعْمًا الظُّهُورُ بِأَنَّهُ لَا يُعَانِي شَيْئًا. وَلِسَانُ حَالِهِ يَكْشِفُ بوضوحٍ مَا يُبْطِنُهُ مِنْ أَسَى وَمَرَارَةٍ. كُلُّ تَصَرُّفَاتِهِ تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ. وَكُلُّ كَلِمَاتِهِ مَحْسُوبَةٍ. إِنَّ مَوْقِفَهُ يُعْبِرُ عَنْهُ الْمَثَلُ الْقَائِلُ: "مِثْلُ الْمُسْتَرَشِدِ مِنْ وَأَعْظَمُ الْمُرْشِدِ كَمِثْلِ الظِّلِّ مِنَ الْعُودِ.. وَهَلْ يَسْتَوِي الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ؟". لَقَدْ اخْتَبَأَ آدَمُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ يَوْمَ سَقَطَ مُخَالِفًا وَصِيَّةَ اللَّهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. وَلَكِنْ كَلَّ أَشْجَارَ الْجَنَّةِ لَمْ تَسْتَرَهُ مِنْ وَجْهِ خَالِقِهِ الَّذِي نَادَاهُ قَائِلًا: "آدَمُ. أَيْنَ أَنْتَ؟"^١.

ثانياً: مَوْضُوعُ التَّوْبَةِ وَامْتِيَازَاتِهَا.. إنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يُعَالِجُ كُلَّ نَفْسٍ سَاقِطَةٍ فِي الْخَطِيئَةِ. لَا فَرْقَ بَيْنَ خَاطِيٍّ كَبِيرٍ وَخَاطِيٍّ صَغِيرٍ. سَيَأْتِي عِنْدَهُ إِنْ اقْتَرَفَ الْخَطِيئَةَ أَحَدُ أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ أَوْ رَاعِي الْكَنِيسَةِ نَفْسَهُ. ففُرْصَةُ التَّوْبَةِ وَالْعُودَةِ إِلَى أَحْضَانِ الْمَحَبَّةِ الْأَبَوِيَّةِ لِلصُّفْحِ وَالْعُفْرَانِ مُتَاحَةٌ لِلْجَمِيعِ. إِنَّ الْخَطِيئَةَ هِيَ الْخَطِيئَةُ وَعِلَاجُهَا وَاحِدٌ وَهُوَ "أَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي يُطَهِّرُ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ". يَقُولُ الرَّبُّ لِخَادِمِ كَنِيسَةِ أفسسِ الَّذِي جَاءَ ذَكَرُهُ بِسَفَرِ رُؤْيَا يُوحَنَّا اللاهوتِيَّ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي: "لَكِنْ عُدِّي عَلَيْكَ أَتُكِّمُكَ فَادْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتَبْ". فَلَقَدْ نَشَأَ السَّقُوطُ مِنْ ضَعْفِ الْمَحَبَّةِ وَفُتُورِهَا. أَيْ كَسْرِ الْوَصِيَّةِ الْعُظْمَى الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الرَّبُّ يَسُوعَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ لِلنَّامُوسِيِّ إِذْ مَكْتُوبٌ: "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تَحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى وَالثَّانِيَّةُ مِثْلَهَا. تَحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ". فَالْمَحَبَّةُ أَشْبَهُ بِالْمَنَاعَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِجِسْمِ الْإِنْسَانِ. الْمَحَبَّةُ لَا تَسْمَحُ لِمِكْرُوبِ الْخَطِيئَةِ أَنْ يُؤْذِيَ إِنْسَانًا نَالَ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ. الْمَحَبَّةُ لِلْمُؤْمِنِ حَصَانَةٌ وَمَنَاعَةٌ. وَالْوَيْلُ لِمَنْ افْتَقَدَ الْمَحَبَّةَ لِأَنَّهُ سَيَنْتَلِثُ بِالْخَطِيئَةِ. إِنَّ الرَّبَّ يُقَدِّمُ إِلَيْنَا مِفْتَاحَ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتَهُ الْخَطِيئَةُ وَهُوَ التَّوْبَةُ. أَيْ الْعُودَةَ ثَانِيَةً إِلَى أَحْضَانِ مَحَبَّتِهِ لِيُطَهِّرَنَا بِدَمِهِ. فَيَعُودُ إِلَيْنَا سَلَامُهُ وَبِهَجَّةٍ خَلَّاصِهِ وَفِرْحَةٍ الَّذِي افْتَقَدْنَاهُ.^٢

ثالثاً: مَاسِيٌّ وَعَوَاقِبُ عَدَمِ التَّوْبَةِ.. كَانَتْ رِسَالَةُ الرَّبِّ لِخَادِمِ كَنِيسَةِ أفسسِ الَّذِي جَاءَ ذَكَرَهُ بِسَفَرِ رُؤْيَا يُوحَنَّا اللاهوتِيَّ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي: "فَادْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتَبْ. وَاعْمَلِ الْأَعْمَالَ الْأُولَى. وَإِلَّا فَيَأْتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَازْحَرْحُ مَنَارِكَ مِنْ مَكَانِهَا إِنْ لَمْ تَتَبْ". إِنَّ عَوَاقِبَ عَدَمِ التَّوْبَةِ وَخِيْمَةٌ وَهِيَ: (١) التَّعَرُّضُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّأْيِيبِ. عَبَّرَ عَنْهُ الرَّبُّ بِزَحْزَحَةِ مَنَارَتِهِ. أَيْ أَنَّ حَالَةَ الْأَمَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ الَّتِي اعْتَادَهَا فِي كَنِيسَتِهِ. لَنْ يَتَمَتَّعَ بِهَا بَعْدُ. (٢) يَدُ الْحِمَايَةِ وَالْوَقَايَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِيهِ مِنْ سَهَامِ الْعَدُوِّ الْمَلْنَهَةِ. سَوْفَ لَا تَصْبِحُ بِنَفْسِ الْفَاعِلِيَّةِ الْأُولَى. (٣) الْفُتُورُ الَّذِي سَيَصِيبُ اجْتِمَاعَاتِ الْكَنِيسَةِ وَالْمَلَلُ. سَيَصْبِحُ مَوْضُوعَ شِكَايَةِ الْأَعْضَاءِ. (٤) الْحَيْرَةُ الَّتِي تَسْصِيبُ الْجَمِيعَ. مِثْلَمَا أَصَابَتْ التَّوْبِيَّةُ فِي السَّقِينَةِ الَّتِي نَزَلَ إِلَيْهَا يُونَانُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى تَرَشِيشِ. (٥) وَإِنْ أَصَرَ الرَّاعِي عَلَى عَدَمِ التَّوْبَةِ. سَيَجْتَمِعُ مَجْلِسُ إِدَارَةِ الْكَنِيسَةِ قَائِلِينَ لِرَاعِيهِمْ الَّذِي تَرَكَ مَحَبَّتَهُ الْأُولَى وَجَعَلَ كَنِيسَتَهُ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا. مَا قَالَهُ التَّوْبِيَّةُ لِيُونَانَ الْهَارَبِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَى تَرَشِيشِ: "أَخْبَرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟". لَقَدْ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَّةِ: "لِأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا. فَإِنَّهُ يَعْشُ نَفْسَهُ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ. لَا مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ. لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حَمْلَ نَفْسِهِ. لَا تَضِلُّوا. اللَّهُ لَا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنْ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فِسَادًا. وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنْ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً".^٣

عزيزي القارئ: أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَتَى إِلَيْكَ مُعْلَنًا حَاجَتِي إِلَى شَخْصِكَ. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ تَدْبِيرِ الْخَلَّاصِ وَالْفِدَاءِ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ مِنْذُ الْأَزْلِ. بِنَتَازِلِ الْإِيْنِ الْوَحِيدِ رَبَّنَا يَسُوعَ. أَتَى إِلَيْكَ كَمَا أَنَا فَاخْتَبِرْنِي رَبِّي وَاعْرِفْ قَلْبِي. اَمْتَحِنِي وَاعْرِفْ افْكَارِي. وَانظُرْ إِنْ كَانَ فِي طَرِيقِ بَاطِلٍ وَاهِدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِيٍّ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قَلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر رُؤْيَا يُوحَنَّا اللاهوتِيَّ ١٢: ١٠ ، سفر التكوين ٣: ٨ - ١٠

^٢ إنجيل متى ٢٢: ٣٨ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٧ ، سفر المزمير ٥١: ١٢

^٣ سفر يُونَانَ ١: ٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني غَلَاطِيَّةِ ٦: ٣ - ٥ & ٧ - ٨